

جامعة عين شمس  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية وآدابها

# بناء المفارقة في شعر العصر المملوكي ابن نباتة المصري نموذجاً

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

أحمد عبد الله محمد العاطفي

إشراف

والأستاذ الدكتور

عبد الناصر حسن

الأستاذ الدكتور

محمد يونس عبد العال

1430-1431هـ / 2009-2010م

جامعة عين شمس  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية وآدابها

## رسالة دكتوراه

اسم الطالب: أحمد عبد الله محمد العاطفي  
عنوان الرسالة: بناء المفارقة في شعر العصر المملوكي ابن نباتة المصري نموذجا.  
الدرجة العلمية: دكتوراه.  
أسماء المشرفين:

1- أ.د محمد يونس عبد العال.

الوظيفة: أستاذ دكتور.

2- الأستاذ الدكتور عبد الناصر حسن.

الوظيفة: أستاذ دكتور.

تاريخ البحث: / / 2010م

### الدراسات العليا

أجيزت الرسالة بتاريخ

/ / 2010م

ختم الإجازة

/ / 2010م

موافقة مجلس الجامعة

/ / 2010م

موافقة مجلس الكلية

/ / 2010م

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وبعد فإن نظرية المفارقة من النظريات الحديثة التي استقطبت اهتمام الكثير من الدارسين والنقاد سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية، غير أن كثيرا من تلك الدراسات قد اتجهت إلى دراسة الحضور المفارقي في الأدب الحديث شعره ونثره، مع قلة اهتمام بدراسة المفارقة وتأصيل وجودها في تراثنا البلاغي والأدبي.

ومن هنا فإن هذا البحث يهدف إلى قراءة المفارقة في شعر العصر المملوكي، وتأتي الدراسة على قسمين:

القسم النظري، ويحوي هذا القسم عدة مباحث: المبحث الأول في تعريف المفارقة وتحديد ماهيتها، ثم المبحث الثاني وفيه يحاول البحث تتبع أبرز المراحل التاريخية التي مرت بها المفارقة تطبيقا قبل أن تتبلور مصطلحا في العصر الحديث، ويتم هذا المبحث في اتجاهين: الاتجاه الأول: تطور المفارقة في الآداب الأوروبية بدءًا بعصور الفلسفة وانتهاء بالعصر الحديث، أما الاتجاه الثاني فيتم فيه الحديث عن: المفارقة في التراث العربي من حيث حضورها الاصطلاحي في كثير من المباحث البلاغية التي تختلف في قربها ومطابقتها أو بعدها عن المفارقة بمفهومها الحديث.

القسم التطبيقي، وفي هذا القسم يتتبع الباحث الحضور المفارقي في شعر العصر المملوكي متخذًا من شعر ابن نباتة المصري نموذجا، والسبب في اختيار

العصر المملوكي أنه عصر اشتهر بالصنعة البديعية وتفنن أدبائه في أدائها وولوعهم بها، حيث أصبح البديع سمة بارزة في الأدب المملوكي شعره ونثره، وكذلك الأمر بالنسبة للمفارقة فهي ضرب من الصنعة البلاغية، لذا فإن نسبة حضورها في أدب تلك الحقبة ستكون بلا شك أكبر من غيرها من العصور الأدبية المتقدمة، يضاف إلى هذا أن هناك عوامل وروافد تدعم الحضور المفارقي في شعر العصر المملوكي، منها العامل السياسي لهذا العصر المليء بالمفارقات، ومنها العامل الاجتماعي وحاجة الناس إلى التنفيس عن دواخلهم والتعبير عن معاناتهم ...، أما السبب في اختيار ابن نباتة المصري نموذجاً لشعراء هذا العصر فيمكن في أن ابن نباتة المصري اشتهر بأنه شاعر العصر المملوكي بلا منازع سواء من حيث جودة الصنعة الشعرية لديه، أو من حيث غزارة نتاجه الشعري حيث يزيد عدد أبيات ديوانه الكبير عن ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر، ومن هنا كان اختياره نموذجاً لشعراء هذه المرحلة في هذا البحث.

ويقوم الجانب التطبيقي في هذا البحث على أربعة فصول:

الفصل الأول وقد تم فيه دراسة المفارقة في الدرس البديعي وذلك في خمسة أصناف بديعية هي: الطباق والمقابلة والجناس والتورية والمدح بما يشبه الذم، وقد تم اختيار هذه الأصناف البديعية نظراً لقربها الكبير من تطبيقات المفارقة بمفهومها الحديث، ولفشوها في شعر ابن نباتة المصري أكثر من غيرها، وقد تم تقسيم هذه الأصناف البديعية على أربعة مباحث، المبحث الأول: الطباق والمقابلة، والمبحث الثاني: الجناس، والمبحث الثالث: التورية، والرابع: المدح بما يشبه الذم.

الفصل الثاني فيتحدث عن المفارقة البيانية في ثلاثة مباحث: المبحث الأول

التشبيه، والثاني: الاستعارة، والثالث: الكناية.

الفصل الثالث، وفيه يتم البحث في المفارقة في أبنية المعاني، وذلك في ثلاثة مباحث أيضاً: المبحث الأول: الذكر والحذف، والمبحث الثاني: التعريف والتذكير، والمبحث الثالث: التقديم والتأخير.

الفصل الرابع، وفيه يتم بحث المفارقة السياقية وحضورها في شعر ابن نباتة المصري، ويتم هذا في مبحثين: المبحث الأول: المفارقة الموقفية، والمبحث الثاني: المفارقة الحالية.

وقد عمد الباحث إلى انتقاء أمثلة متفرقة من شعر ابن نباتة يتم من خلالها استجلاء المفارقة وحضورها في تلك المباحث البلاغية مع الحرص على عدم الاستكثار من الأمثلة إلا بما يكشف وجهًا جديدًا وزاوية مختلفة وشكلاً جديداً من المفارقة في هذا المبحث أو ذاك، لا سيما وأن الأمثلة كثيرة جداً ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات الديوان من مفارقات بديعية أو بيانية أو مفارقات تتجلى في أساليب التقديم والتأخير أو الذكر والحذف أو التعريف والتذكير، والإكثار من إيراد تلك الأمثلة سيؤدي حتماً إلى تكرار كثير لن يفيد في كشف أوجه جديدة للمفارقة بقدر ما يؤدي إلى زيادة كبيرة في حجم البحث لا يقابلها إضافات جديدة في صلب البحث.

وتواجه الباحث في موضوع المفارقة عقبات لعل من أهمها قلة المراجع العربية التي تختص بدراسة نظرية المفارقة، فلا يكاد الباحث يجد كتاباً واحداً أفرد لدراسة المفارقة نظرياً، أو تأصيل وجودها في تراثنا العربي نقداً وأدباً، وليس هناك إلا بضعة أبحاث هنا وهناك في بعض الدوريات، وكثير منها لم يخلص الحديث عن المفارقة من الناحية النظرية بل إنه اتجه إلى تطبيقها على بعض النصوص الشعرية والنثرية

الحديثة، وإن كان بعض تلك الأبحاث يعد مرجعا هاما لدراسة المفارقة يتكئ عليه كثير من الباحثين كبحث الدكتورة نبيلة إبراهيم ( المفارقة ) المنشور في مجلة فصول.

ومن أبرز الدراسات التي استعان بها الباحث في إنجاز هذا البحث:

• المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، وهو

بحث منشور ضمن موسوعة المصطلح النقدي المجلد الرابع.

• المفارقة، د. نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول، المجلد السابع.

• المفارقة القرآنية، د. محمد العبد.

• المفارقة في الشعر العربي الحديث، د. ناصر شبانة.

• البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب.

ولست أزعم أنني قد بلغت في البحث شأواً، فإنما هو خطوة أولى في سبيل

البحث العلمي، أرجو فيها الصواب والتوفيق من الله تعالى، ولا أضمن الخطأ

والتقصير، فهذه سجية الإنسان مهما ارتفع قدره، فكيف بمن لا زال يخطو خطواته

الأولى في البحث، ولي في جميل صبر أساتذتي عليّ خير سلوان.

وبعد، فإنني أزجي أسمى آيات الشكر والعرفان بالجميل لأستاذي العالمين

الجليلين: الأستاذ الدكتور محمد يونس عبد العال، والأستاذ الدكتور عبد الناصر

حسن، على ما أولياني من حسن الرعاية والتوجيه، فلهما مني الشكر الجزيل والدعاء

أن يبارك الله في عمرهما وأن ينفع بعلمهما.

وكم هي خاتمة هذا البحث حسنة أن يتوج بمناقشته من قبل العالمين الجليلين:

الأستاذ الدكتور عاطف جوده، والأستاذ الدكتور محمد بريري، فأشكر لهما مقدما

صنيعهما، وما سينفقانه من الوقت في قراءة هذا البحث وتقويمه، فلهما مني جزيل  
الشكر والثناء.

وبعد، فهذا جهد مُقِلٌّ، وبضاعة مزجاء، عسى يقبل صوابها ويغتنق خطؤها..  
إن تجد نقصاً فسُدَّ الخلا      جل من لا عيب فيه وعلا

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات...

# القسم الأول

## الدراسة النظرية



# المفارقة

● مدخل.

● تعريف المفارقة.

● التطور التاريخي لمفهوم المفارقة:

1- تطور المفارقة في الآداب

الأوروبية.

2- المفارقة في التراث العربي.

● عناصر المفارقة.

● لغة المفارقة.

## المفارقة

### مدخل:

إن اللغة في مستواها الأولي لغة وضعية بالتواطؤ، تهتم بوصف ما يطفو على السطح من مظاهر أو رغبات يعبر عنها المتكلم، ومن هنا فإن فهمها لا يحتاج إلا لقدر مشترك من اللغة والثقافة والمواضعة اللغوية، بين المتكلم والسامع، بين المنشئ والمتلقي، ذاك أن اللفظة في مستواها المعجمي تحيل إلى المعنى المباشر، دون أن يكون لها أفق ورأي يصنعه المنشئ أو يتطلع إليه المتلقي، إلا أن الأصل في اللغة الأدبية الانحراف والعدول عن هذا الأصل المعجمي المتواضع عليه، لترتقي اللغة إلى مراق بلاغية، تكون معها جسرا يصل بين الحقيقة والخيال، بين الأصل اللغوي والمجاز اللغوي.

وهكذا، فإن " أبسط حالات المعنى، هي تلك التي يلفظ فيها المتكلم بجملة، ويعني ما يقوله تماما وحرفيا، ... ولكن ليست كل حالات المعنى بهذه البساطة، ففي الإلماع hint، والتلميح أو اللمز insinuation، والمفارقة Irony، والاستعارة metaphor، ينفرد معنى المنطوق utterance meaning عن معنى الجملة sentence meaning على أنحاء متنوعة "(1).

---

(1) المفارقة القرآنية، د. محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1426هـ/2006م، 24.

ومن هنا تبرز المفارقة بوصفها وعدولا عن المعنى الوضعي، حالها في ذلك حال بقية المباحث البلاغية من مجاز واستعارة وكناية.

إن "أهمية المفارقة في الأدب مسألة لا تحتل الجدل"<sup>(1)</sup>، بل إنها أصبحت تمثل العنصر المهيمن في أدب القصة في العصر الحديث<sup>(2)</sup>، كما إنه لا يكاد يخلو عصر من العصور ولا أدب من الآداب ، ولو بدرجات متفاوتة من المفارقة<sup>(3)</sup>، فهي ظاهرة واسعة الانتشار<sup>(4)</sup>، لا يكاد يخلو منها عمل أدبي، شعري أو نثري، بل إنها لتتجاوز ذلك لتكون تفسيراً للكثير من الأحداث الكونية الملحوظة التي تجتمع فيها المتناقضات من حولنا.

### تعريف المفارقة:

قبل الحديث عن مفهوم المفارقة وتعريفها، تمثل أمام الباحث مسألة لا بد من الإشارة إليها، فكثيراً ما يلحظ الباحث اضطراباً في الترجمة عند كثير من الباحثين والمترجمين عند نقلهم المصطلح إلى العربية، فهناك من يستعمل كلمة ( Irony ) للدلالة على المفارقة، وهناك من يستعمل كلمة ( Paradox ) مقابلاً للمفارقة.

- 
- (1) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1993م، المجلد الرابع، 124.
- (2) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني، يناير - فبراير - مارس، 1982م، 143. والعنصر المهيمن هو "العنصر المحوري في العمل الفني، الذي ينظم ويحدد العناصر الأخرى، ويدخل عليها بعض التحولات الدلالية، فالعنصر المهيمن هو الذي يضمن تماسك البنية وتلاحمها". المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، 143.
- (3) المفارقة في الشعر العربي الحديث، د. ناصر شبانة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2002م، 22.
- (4) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، 123.

والحق أن هذين المصطلحين قد شهدا الكثير من الاضطراب في ترجمتهما، فلم يجمع الباحثون والمترجمون الذين عرضوا لهما على ترجمة موحدة ودقيقة لأيٍّ منهما، فهناك من استعمل كلمة Paradox للدلالة على ( التناقض )<sup>(1)</sup> أو ( التناقض الظاهري )<sup>(2)</sup>، وهي عند بعضهم تعني ( المفارقة الضدية )<sup>(3)</sup>، ويجعلها بعضهم بمعنى ( المفارقة اللفظية )<sup>(4)</sup> بينما جعلها البعض للدلالة على ( المفارقة ) بشكل عام، كما هي عند الدكتور عاطف جوده<sup>(5)</sup>.

والأمر ذاته يتكرر عند من يتناول كلمة Irony، وإن كانت هذه أوفر حظاً من سابقتها في الاستعمال نظراً لارتباطها بتاريخ المفارقة، حيث اشتقت من الكلمة اليونانية ( eironeia – أيرونيّا )، والتي كانت " وصفاً للأسلوب في كلام إحدى الشخصيات بالملهاة اليونانية القديمة والمسمى ( آيرون – eiron )" <sup>(6)</sup>.

وقد استعملت Irony عند الباحثين والمترجمين بترجمات مختلفة، فمنهم من أثر ترجمتها بـ " السخرية، وأحياناً بظواهر أخرى كوميدية غريبة ومضحكة ولا معقولة،

---

(1) انظر: قاموس أطلس الموسوعي، مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث، 911، وكذلك: المفارقة في القص العربي، سيزا قاسم، مجلة فصول، 145، وأيضاً: المفارقة القرآنية، د. محمد العبد، 139، وكذلك: مفارقات الشعرية، د. محمد فتوح أحمد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م، 144.

(2) انظر: معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبه، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م، 381.

(3) انظر: في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث، بيروت، 1987م، 102.

(4) انظر: معجم مصطلحات الأدب، مجمع اللغة العربية – القاهرة، 1428هـ – 2007م، الجزء الأول، 154.

(5) انظر: النص الشعري ومشكلات التفسير، د. عاطف جوده نصر، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الطبعة الأولى، 1996م، 18، وكذلك جعل مجدي وهبه المفارقة إحدى معاني paradox، انظر: معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبه، 381.

(6) معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبه، 262.

وأحيانا أخرى تتداخل وتتشابك مع التراجيديا"<sup>(1)</sup>، ومنهم من جعلها بمعنى: ( المفارقة الساخرة )<sup>(2)</sup>، ولعل الأكثرين جعلوا Irony بمعنى ( المفارقة ) كما هي عند عبد الواحد لؤلؤة، ومحمد العبد، ونبيلة إبراهيم، وسيزا قاسم، وسعيد شوقي، وغيرهم<sup>(3)</sup>، وإن كان عبد الواحد لؤلؤة بدا غير مقتنع إلى درجة كبيرة باستعمالها على هذا النحو حين يقر بأن " المفارقة Irony أحسن الحلول السيئة لترجمة هذه الكلمة إلى العربية"<sup>(4)</sup>، أما الدكتور حسني عبد الجليل فيرى أن Irony تعني التهكم والسخرية، وأن ترجمتها بـ ( المفارقة ) قد أثرت سلبا على مفهوم المفارقة، حيث أوحى هذه الترجمة بحصر المفارقة في التهكم والسخرية، بينما المفارقة أعم وأشمل، فهناك أشكال من التهكم لا يصح وصفها بالمفارقة، حيث تفقد عنصر

---

(1) المفارقة والأدب، د. خالد سليمان، 8. وممن ترجمها بالسخرية أو التهكم: قاموس أطلس الموسوعي، مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث، 673، وكذلك: مجدي وهبه في معجم مصطلحات الأدب، 262-263، وكذلك: د. محمد منصور أبا حسين في ترجمته لكتاب كلنث بروكس ( لغة المفارقة )، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز بالرياض، العدد الثاني، السنة السادسة عشرة، المحرم، صفر، ربيع الأول 1411هـ، 176.

(2) انظر: معجم مصطلحات الأدب، مجمع اللغة العربية، 153.

(3) انظر: المفارقة وصفاتها، دي.سي.ميويك، 258، هوامش المترجم عبد الواحد لؤلؤة، الهامش الأول، 258، وكذلك: المفارقة القرآنية، د. محمد العبد، 15، وأيضا: المفارقة، د. نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، 131، وكذلك: المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، 144، وكذلك: بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، د. شوقي سعيد، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م، 5، وكذلك: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية - القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1399هـ - 1979م، 188.

(4) المفارقة، دي.سي.ميويك، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، هوامش المترجم على الدراسة الأولى، 114.

الضدية، كما أن هناك أشكالاً من المفارقة لا تتصل بالسخرية والتهكم<sup>(1)</sup>، وعلى كل فهذه تبقى إشكالية ترجمة، يصعب ضبطها، أو ترجيح أيّ منها على غيره.

أما مفهوم المفارقة وتعريفها، فيكاد يجمع الباحثون - الذين كتبوا في المفارقة وتحدثوا عنها مفهوماً ومصطلحاً - أن إيجاد تعريف جامع مانع للمفارقة فيه قدر كبير من الصعوبة، ويرجع السبب في ذلك - عند أولئك الباحثين - إلى العمر الطويل للمفارقة مفهوماً قبل أن تتبلور مع تقدم الزمن لتصبح مصطلحاً نقدياً في العصر الحديث.

فلما " كانت المفارقة ممارسة أدبية تملك تاريخاً طويلاً يمتد إلى عصور الأدب الأولى، فإنها تستعصي على التعريف الواحد، الذي يجمع مفاهيم الأدباء والنقاد لها، أو يضم كل أنواعها ودرجاتها، ناهيك عن أساليبها وأثرها في العمل الأدبي، ومن هنا فإنه لا غرابة ألّبتة إذا رأينا تعريفاتها تتعدد وتتباين، ولا غرابة أيضاً إذا بقي مفهوم النقاد لها غامضاً متعدداً أو غير مستقر"<sup>(2)</sup>، ويرد في هذا السياق قول نيتشة: " ما لا تاريخ له يمكن تعريفه"<sup>(3)</sup>، وتأسيساً على هذا " نجد مفهوم المفارقة غامضاً، غير مستقر، ومتعدد الأشكال، فكلمة مفارقة لا تعني اليوم ما كانت تعنيه في عصور

---

(1) انظر: المفارقة في شعر عدي بن زيد، د. حسني عبد الجليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر -

الإسكندرية، الطبعة الأولى 2009م، 13.

(2) المفارقة والأدب، د. خالد سليمان، 14.

(3) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، 129.

سابقة، ولا تعني في قطر بعينه كل ما يمكن أن تعنيه في قطر آخر، ولا في الشارع ما يمكن أن تعنيه في المكتب، ولا عند باحث ما يمكن أن تعنيه عند باحث آخر<sup>(1)</sup>.

ومهما يكن، فإن السبب في غموض مفهوم المفارقة ليس لأنها تملك تاريخاً طويلاً فحسب، وإن كان هذا يحمل قدراً كبيراً من الصحة ويوضح طرفاً هاماً من أطراف المشكلة، إلا أن المتأمل لنشأة المفارقة - مفهوماً ثم مصطلحاً - يجد أنها نشأت في مهاد فلسفي، وارتبط مفهوماً بالنظرة الفلسفية عند سقراط "صانع المفارقة الأول الذي يذكره لنا التاريخ"<sup>(2)</sup>، إلى أن كان "الفلاسفة المحدثون هم الذين أرسوا دعائم المفارقة في البلاغة والنقد الحديث"<sup>(3)</sup>، ولعل هذه النظرة الفلسفية التأملية التي نشأت في تربتها المفارقة هي التي أخرجتها من مجرد أسلوب بلاغي يمكن تأطيره من خلال حصر أنواعه وأشكاله، إلى أسلوب فلسفي ناشيء عن نظرة معينة للحياة، ولا يخفى أن النظرة الفلسفية - عادة - تكون مضطربة وغير مستقرة، فهي محاولة لتفسير العلاقة بين الإنسان والكون والحياة، إلا أنه تفسير يخضع لمحدودية العقل البشري، لذا فإنها - أي الفلسفة - لا تكاد تستقر تساؤلاتها على إجابات واضحة، ولا تكاد تصل إلى نهاية تشبع ما تطرحه من تساؤلات حول تلك العلاقة، فهي عبارة عن أسئلة حائرة، لا تبحث عن إجابة بقدر ما تحاول استثارة أسئلة جديدة لا نهاية لها... ومن ثم فإن المفارقة قد اكتسبت هذا الوصف من حيث عدم استقرارها على تعريف بعينه، وعدم إجماع الباحثين على تعريف موحد أو متقارب لها، بل إن بعض الباحثين يقرر

---

(1) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، 129.

(2) السابق، الصفحة نفسها.

(3) المفارقة في الشعر العربي المعاصر، د. ناصر شبانة، 27.